فنتازية الرواية عند الإفرنج والعرب

أعمال أحمد خالد توفيق أنموذجاً

د. أحمد علي محمد
ناقد وأستاذ جامعي من سورية ـ عضو اتحاد الكتاب العرب

1. ثمة اشتراطات تضع فوارق موضوعية بين أدب الخيال العلمي والفنتازيا أو العجائبية في الرواية المعاصرة، أظهرها على الإطلاق أنّ أدب الخيال العلمي في الغرب ناجم بالقوة وبالفعل عن الناتج العلمي الحديث، فنشأ في ضوء ذلك أدب استشرافي يحاول أن يسبق العلم في اكتشاف الظواهر المُدهشة بطريق الخيال، ومزيةُ هذا الأدب بحسب آراء النّقاد أنّه أدبٌ مُمكن الوقوع في المستقبل، إذْ هو أدب رؤيوي يبشر بكشوفات تتخطى ما وصل إليه العلم الحديث، ويعتمد في الأساس على معرفة علمية تخصصية مستخدماً وسائلَ العلمِ في إقناع القارئ، لا بل يسهم بصورة أكيدة في تثقيف المتلقي بثقافة العلم، ويثبّت نهج التفكير العقلي الذي ينسجم مع روح العلم الحديث والحضارة الجديدة،

والمشكلة التي يعاني منها أدب الخيال العلمي العربي أنّه لا ينطلق من بيئة علمية حقيقية منتجة للمعارف، لذا بدأ مقلداً آدابَ الغربِ مُسرفاً في التقليد، ومع انتشار التعليم بدأت تظهر نتاجات أدبية علمية تضاهي ما هو عليه الحال في الآداب الغربية، إذ برز كُتّاب متخصصون في جانب علمي يَمْهَرُونَ في كتابة رواية الخيال العلمي ضمن إطارها الحقيقي، ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر د.طالب عمران في سورية وأحمد خالد توفيق في مصر.

2. أمّا الفنتازيا في الأدب فهي ضربٌ يتحلل بصورة كلية من المنطق، ويعتمد على الخيال، من أجل ذلك لا نجد فيه أثراً لقوانين نعرفها في الواقع، مع أنّ كُتّابه حاولوا سنَّ قوانين تحكم الأحداث التي تكلموا عليها، بيد أنّها بطبيعة الحال لا تماثل قوانين الواقع الذي نألفه، كما أنّ ذلك الأدب يقدّم شخصيات بقدرات تفوق قدرات البشر، إنّه أدب عجائبي في كلّ شيء، وهذا اللون من الأدب وإن كان يَفْرقُ نفسه عن أدب الخيال العلمي بهذه الصفة، إلا أنه يضع علامة فارقة أخرى بينه وبين الأدب الطوباوي أو (اليوتوبيا)، التي تنحو نحواً مثالياً، لكن (اليوتوبيا) قد تتناول ما من شأنه الحدوث لو عاد الزمن إلى الوراء، في حين تتناول الفنتازيا مالم يحدث في الماضي ولن يحدث في المستقبل.

تعتمد الفنتازيا على الزاد الأسطوري والميثولوجي السحيق، وليس ذلك فحسب بل تبتكر لنفسها قوانين من تلك الأساطير، تشكّل بنية تبدو على غاية من التماسك والانسجام، ليس مع العالم الخارجي، بل مع عالمها الخاص الذي ترتب وَفْقه أحداثها، وتخلق شخصياتها، من هنا تبدو الفنتازيا منظمة داخلياً ولكن ضمن منطق الأسطورة والفلكلور والحكايات الشعبية العجائبية، ويمسي الخيال عنصراً تكوينياً يمثل الإطار الذي يمضي فيه ذلك اللون من الأدب، وقد استقلت الفنتازيا بضرب أدبي منذ النصف الثاني من القرن العشرين في الآداب الغربية خاصة، ثمّ ظهرت بعض النتاجات الأدبية العربية من باب الإمعان في التقليد والمحاكاة.

3. من أهمّ مصادر الفنتازيا في الآداب الحديثة الملحمة البابلية المسماة بملحمة جلجامش التي ترجع في تاريخها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، والملحمة نصٌّ شعري طويل أُلّف باللّغة الأكادية، انطوى على اثني عشر لوحاً فخارياً، وقد وجدت تلك الألواح في مكتبة آشوربانيبال بنينوى، وتتحدث الملحمة الشّعرية عن شخصية جلجامش

في بحثه عن فكرة الخلود، وتجسد بطولته الفردية، وهي أول أثر أدبي متكامل يصل إلينا من تاريخ الأمم السالفة، وقد أشار الباحثون أن تلك الشخصية العجيبة أرادت البحث عن وسيلة مضادة للفناء، ويرى فراس السواح أن ذلك البحث لم يكن ينشد خلاصاً فردياً، بل كان في مطلبه الفردي نزوعاً جماعياً ولكنه مضاد للعدم وإنهاء سلطة الموت (1).

وقيل إنّ ملحمة جلجامش قد أُلفت في العصور البابلية المتأخرة، ويُذكر أن الذي ألفها شاعر يسمى (سين لقي ونيني)، مصوراً في عدد من القصائد جلجامش حين كان ملكاً على الوركاء، وهو نصف إله يتحلّى بقدرات فائقة، ثم يلاقي أنكيدو البري الذي صنعته الآلهة ليقف في وجه جلجامش الطاغية، وحين يهبط أنكيدو إلى أرض الوركاء يتحول إلى إنسان بعد تعرفه امرأةً فاجرة، ثم يطلب ملاقاة جلجامش لهزمه، ولكن جلجامش يغلبه، ثم يتحول أنكيدو عن عداوة جلجامش ليصبحا صديقين، ثم يمضيان في رحلة تستغرق أسبوعاً تقريباً في غابة الأرز السحرية، وبعد ذلك يخططان لقتل حارس شجرة الأرز المقدسة واسمه خومبايا الرهيب، إلا أنّ عشتار تحول دون ذلك فترسل ثور الجنة لمساندة خومبايا والانتقام من جلجامش الذي تنكر لعشتار حين أعرض عن قبول صداقتها، وفي النهاية يتغلب جلجامش وصديقه أنكيدو على الثور والحارس، مما يضطر الآلهة إلى قتل أنكيدو، وهذا ما يدفع جلجامش إلى المضي وحيداً في رحلة مضنية لاكتشاف سرِّ الحياة الخالدة، بيد أنّه يدرك في النهاية أنّ الخلود حِكْرٌ على الآلهة، وأما البشر فلا مهرب لهم من الموت.

ومن المهم أن نشير إلى أنّ بعض الباحثين الغربيين قد لاحظ شبهاً بين ما جاء في ملحمة جلجامش، وما انطوت عليه الكتب المقدسة، كالذي أشار إليه الكسندر هايدل من أنّ هنالك أثراً للملحمة في الكتاب المقدس العبري، ولا سيما ما يتصل بالحديث عن جنات عدن وحكاية الطوفان في سفر التكوين، وموضع التشابه وقع بين أنكيدو والمرأة التي أوى إليها فأغوته، وبين أدم وحواء، فأنكيدو خُلق من تراب ثم تعرف امرأة تغويه، فقبل منها بعض الطعام، ووجود الثعبان في ملحمة جلجامش الذي يسرق نبتة الخلود، وهذا أمر يتردد في الكتب المقدسة (2)، وأشار أندرو جورج أنّ موضوعاً مشتركاً آخرَ وهو الطوفان الوارد في سفر التكوين(3).

4. ومن مصادر الفنتازيا الملحمة البابلية (إنوما إليش) ومعناها حين تحلق عالياً،

وهي قصيدة تتحدث عن نشأة الخلق، كان قد فك رموزها في اللّغة الأكادية جورج سميث بعد أن عثر عليها في مكتبة أشوبانيبال، ثم ترجمت إلى لغات شتى أقدمها الترجمة الفرنسية، ويرجع تاريخ هذه الملحمة إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وقيل إنّها كتبت في الألف الثانية قبل الميلاد، وتعدّ الملحمة شكلاً نهائياً لمجموعة الأساطير السومرية والبابلية القديمة، وتتألف القصيدة من 1100 بيت، مدونة في سبعة ألواح في كلّ لوح نحو 150بيتاً، وتتحدث القصيدة في اللوح الأول عن بدء الخليقة حيث لم يكن في البدء سماء ولا أرض، ولم يكن هنالك سوى إبسو الذي يرمز إلى المياه العذبة، وتيامات زوجته التي ترمز إلى المياه المالحة، فقاما بمزج مياههما معاً، وكان هناك الإله ممو، وبعد ذلك أنجبت تيامات زوجة إبسو آلهة مثل لخمو ولخامو وأنشار وكيشار، والأخيران أنجبا أنو ثمّ أنجب أنو نوديموت وكان هذا من الحكماء، ولمّا كثر ضجيج الآلهة الصغار أزعج ذلك الأب الأكبر إبسو فشكا ذلك إلى زوجته تيامات ليدور حوار طريف بينهما بعد أن علمت أن زوجها إبسو يريد أن يتخلص من أبنائه الصغار لتقول له : لماذا ندمر الصغار ونحن وهبناهم الحياة ؟! صحيح أنّ سلوكهم مؤلم لكن لابدّ من الصبر، بيد أنّ ممو وافق أباه وشجعه للتخلص من الصغار لينعم بالهدوء والسكينة، وبدأ إبسو يخطط للإيقاع بصغاره، لكن الحكيم أيا صنع حول الصغار طوقاً لحمايتهم من كيد أبيهم، وفي الوقت نفسه سحر إبسو لينام نوماً عميقاً ثم تمكن من قتله بعد ذلك، وبعده استطاع أن يتغلب على ممو فقيده ثم حبسه، ليتحول آيا إلى إله الماء العذب الذي يرفد الأنهار والجداول والبحيرات ويفجر عيون الأرض، ثم يقيم آيا معبداً فوق قبر إبسو، ويجعل لنفسه فيه مقاماً مع زوجته دومكينا، وقد أنجبا ابنهما مردوخ وله أربع أذان وأربع عيون ثم تشكلت أعضاؤه بفن بديع لا يحيط به خيال، وزيادة فوق ذلك كان يلفظ من فمه النار المحرقة على كل ما يقع أمامه، وتتسع أذناه ليسمع كل شيء، وتتسع عيناه ليرى كل شيء، لذا صار كبير الآلهة وليس لهيئته نظير، فخلقت الريح وسخرت لخدمته، ثم أحدثت الأمواج والعواصف له فارتجت بها الأنحاء مما أزعج الأم الكبيرة تيامات، فتعاظم قلقها فأخذت تترنح في كلّ اتجاه، فجاء إليها ابناؤها وحفزوها على الانتقام من قتلة زوجها إبسو، فثارت ثورة عارمة ثم خلقت التنين والحيات والأسود والكلاب والعقارب ثم نصّبت كينغو قائداً على هذا الجيش لخوض صراع مرير مع آيا، لكنة آثر عدم الدخول في ذلك الصراع، مما فسح المجال لمردوخ ليخوض تلك الحرب

الضروس، ويظفر بعدها بلقب كبير الآلهة وبالسلطة المطلقة، فتقام الاحتفالات لمنحه حق تقرير المصير، كما يتوج ملكاً على الآلهة، ويتسلم الصولجان، ويتربع على العرش، وبعد ذلك يعد العدة للمواجهة، وينتهي الصراع بقتل الأم الكبيرة تيامات، والطريف ما قدمته القصيدة من تصوير لهذه المواجهة بين مردوخ وتيامات فتورد : « نشر الرب مردوخ شبكته واحتواها في داخلها، وفي وجهها أفلت الرياح الشيطانية التي تهب وراءه، وعندما فتحت فمها لابتلاعه، دفع في فمها الرياح الشيطانية، فلم تقدر لها إطباقا، وامتلأ جوفها بالرياح الصاخبة، قبضتها منتفخة، وفمها فاغر على اتساعه، ثم أطلق الرب من سهامه واحداً فمزق أعماقها وتغلغل في الحشا وشطر منها القلب، فلما تهاوت أمامه أجهز على حياتها، وطرح جثتها أرضاً واعتلى عليها»(4).

بعد أن قتل مردوخ الأم الأولى تيامات شقّ جسدها نصفين ليصنع منهما الكون، فأخذ نصفها الأعلى فخلق منه السماء، وصنع من نصفها السفلي الأرض، وبعد ذلك خلق مردوخ النجوم والسحاب والرياح والأنهار والجبال والبحيرات، ثم خطط لبناء مدينة بابل لتكون مركز مملكته ثم خلق عمالاً لبنائها، وجعل النجوم منازل لسائر الآلهة، وقسم السنة إلى اثني عشر شهراً والسنة إلى أربعة فصول، وأسكن الآله نانا القمر، وأوكل أمر الشمس لإله آخر، ثم خلق من لعاب تيامات الغيوم والضباب وصنع من رأسها الجبال والتلال، وفجر نهري دجلة والفرات، وبعد ذلك كله ورد في اللوح السادس من الملحمة أنّ كبير الآلهة مردوخ أطلع أباه آيا على نيته لخلق لولو أي الإنسان الذي سيتكبد عناء العمل في الحياة، فينصحه أبوه بأن يذبح أحد الآلهة الصغار ثم يمزج بدمه التراب فيخلق من الخليط إنساناً، فيقع الاختيار على الإله كينغو، وهو الذي دفع الأم تيامات للانتقام من والد مردوخ، ومن ثم القتال، فقُيّد ثم قُطّعتْ شرايينه وصُبَّ دمُه في التراب، فتم له بذلك خلق الإنسان، وحين سواه وعدله فرض عليه العمل، وفي اللوح السابع والأخير تذكر الملحمة الأسماء التي أطلقت على مردوخ وهي خمسون اسماً منها : أساور وأسار وتوتو وزيوكينا وزيكو وجاكو وتوكو وشازو وسوحريم...

5. في العصور الكلاسيكية ارتبطت الفنتازيا بالميثولوجيا الإغريقية والرومانية والجرمانية، فانطوت آثار هوميروس وفرجيل ولقيانوس السميساطي والساغا(5) في الآداب الجرمانية وحكايات ألف ليلة وليلة على شخصيات وأحداث خيالية لا تقيم وزناً

لواقعية الأحداث أو معقولية الشخصيات، إنها أعمال تغرق في تمثيل عالم الوهم.

وفي العصور الوسطى قام عدد من الكتاب بإحياء الفنتازيا الكلاسيكية، ولاسيما توماس مالوري في قصته (موت الملك آرثر)، وربما كانت رسالة الغفران للمعري أحدى الأعمال الفنتازية في الأدب العربي، وكذا الكوميديا الإلهية لدانتي، ومسرحية (حلم ليلة صيف) لشكسبير، وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت روايات جون كندريك التي استوحى فيها صور العالم الآخر من مؤلفات سابقيه كالمعري ودانتي، وبرزت مدرسة أدبية فنتازية في أوائل القرن العشرين أطلق عليها اسم (البانغزية) وتعني الأدب الفنتازي غير الطوباي الذي يقدم نقداً للمجتمع تحت غطاء الخيال، على أن التطور الحقيقي للأدب الفنتازي قد حدث في النصف الثاني من القرن العشرين على يد تولكين في ثلاثيته (سيد الخواتم) التي نشرت في عامي 1954 و1955م، إذ صورت عالماً خيالياً مستمداً من الميثولوجيا الكلاسيكية الجرمانية، زاخراً بالمخلوقات العجيبة، وقد توسعت الآداب الفنتازية في أواخر القرن العشرين وتفرعت فروعاً كثيرة فمنها الفنتازيا الكوميدية والتاريخية السوداء والأسطورية.

6. أحمد خالد توفيق ولد في مدينة طنطا بمصر عام 1962م، ودرس في كلية الطب بجامعة طنطا وحاز شهادة الدكتوراه في طب المناطق الحارة عام 1997م ثم عين بعد ذلك أستاذا في كلية الطب بجامعة طنطا، بيد أن عمله الجامعي لم يصرفه عن الكتابة الأدبية، إذ ألف أشهر سلسلة قصصية في العصر الحديث عرفت بفنتازيا أحمد خالد توفيق، وقد تميزت تلك السلسلة بأسلوب ميسر ولغة سهلة، والسلسلة مجموعة من القصص أصدرها توفيق بشكل دوري، يصنفها الكثير من النقاد تحت باب أدب الخيال العلمي، وقد ظهرت تلك السلسلة بعد سلسلته المشهورة بـ «سلسلة ما وراء الطبيعة»، واستمر صدروها حتى وفاة الدكتور أحمد خالد توفيق عام 2018م، وقد بلغت أربعة وستين قصة.

ولتوفيق إسهام واسع في التأليف الروائي، اشتهرت له أعمال عدة منها روايته»يوتوبيا» وروايته « مثل إيكاروس» ورواية « السنجة» ورواية «ممر الفئران» ورواية « شآبيب»، كما أصدر سلسلة مقالات منها» قصاصات قابلة للحرق»، كما أنه ترجم عدداً من الروايات العالمية كرواية» نادي القتال» لتشاك بولانيك، ورواية»ديرمافوريا» لكريج كليفنج، ورواية « المقابر» لنيل جايمان «.

7. تتصدر أعمال أحمد خالد توفيق الفنتازيا في الرواية العربية المعاصرة، إذ أصدر سلسلة قصصية منها : «كونتيكي» وفيها تخوض بطلة القصة عبير مياه المحيط بقارب بدائي مع صديقها، لتكتشف كيف ما إذا كان قد وصل الفراعنة إلى المكسيك، أم أن أهرامات المايا لم تكن إلا محض مصادفة. وفي قصته «وعد جوناثان» يقيمها على مقولة ساخرة لطيفة فحواها:» أنّ الولايات المتحدة تنظر بعين العطف لإقامة وطن للعرب في غينيا الجديدة، وساق ذلك على لسان راينهارت مستشارة الرئيس الأمريكي للشؤون الاقتصادية، وبعدها يتدفق العرب من الشتات إلى غينيا الجديدة، وبذلك يتحقق خلاصهم من التجزئة والتشرد والتبعية ليكون لهم وطن يجمعهم، وفي قصته «أحلام» يبني أحداثها على مقولة أحد فلاسفة اليوغا :» أنّ الأحلام هي ما رأيناه، وما سمعناه وما خبرناه وما نتمنى أن نجربه، وما تخيلناه ما هو إلا طبيعة في أجسامنا «.

في قصته «من قتل الأمبراطور « يتحدث عن مقتل نابليون، وهي نهاية افتراضية فنتازية، إذ من المعروف أن نابليون لم يمت مقتولاً، بل قيل إنه مات بمرض السرطان، أو مسموماً بالزرنيخ، وفي قصته «وحدي مع لافكرافت» وأمثولتها تقوم على أن قصص الرعب تشعرنا باطمئنان، نخوض من خلالها الأحداث القاتلة ولكننا نبقى بسلام، وقصة «في جحيم الألعاب» يتحدث الكاتب عن العالم الافتراضي من خلال ألعاب الفيديو، وعلى المرء أن يعمل الذكاء والسرعة في التعامل معها، لأنّ الرصاص الذي يطلق في تلك الألعاب قاتل وكذا ضربات المسوخ قاتلة، لذا لابد من الخروج من جحيم الألعاب بسلام، وإلا سيظل المرء مغلوباً يعاني عذاباً مستمراً كعذاب تنتالوس في الميثولوجيا اليونانية، وقصة « البطل ذو الألف وجه» التي تتحدث عن كامبل العبقري في فنون الطبخ، وقصة « كلّ ليلة» التي تتكلم على لص يهودي يسرق قصص عبير وينسبها إلى أبناء جلدته، وقصة «ليال عربية» وهي التي تشير إلى أثر كتاب ألف ليلة وليلة في آداب الغرب، وقصة «الصيادون» وفيها حديث عن حرب الأفكار، وقصة «عبقري آخر « التي تقف عند إبداع المتنبي، وقصة « بحاران» التي تتحدث عن بحار غربي طموح ولكنه يعمد إلى ارتكاب الفظائع في سبيل تحقيق مآربه، والآخر عربي استوعب قوانين البحر، فالأول خلد ذكره في الصور التذكارية، والآخر خلد ذكره في الكتب، وقصة «ب4م» وهي تتحدث عن الشطرنج الآدمي، وقصة « فلننقذ الوتش» التي تتخيل أن هتلر ليس كما هو معروف، وقصة « هي والأنا « التي تتحدث عن العقل الباطن، وقصة

« يوم غرق الأسطول» وبطلتها عبير التي تخوض مغامرات خطيرة للبحث عن شريف، وقصة «اللغز» وقصة «الساحر وأنا» وقصة»الحالم الأخير» وقصة «تشي»، وقصة « شيء من حتى» وقصة «أسطورة نهر»، وقصة «الملل بعينه»، وقصة «ألعاب فارسية»، وقصة « أرشيف الغد»، وقصة « صديقي جلجامش»، وقصة «عينان» وقصة «فلاسفة في حسائي» وقصة «حب في أغسطس» وقصة « ما أمام الطبيعة»...

والواقع أن أحمد خالد توفيق بما تركه من قصص فنتازية مبهرة، قد سد فراغاً في المكتبة الروائية العربية، سواء من حيث كثرة التأليف في هذا الباب أم في تقنياته الفنية والأسلوبية، وأعماله هذه زاد جيد لتثقيف الناشئة، لأنها تلبي حاجة تخيلية لدى النشء.

8. فنتازيا أحمد خالد توفيق سلسلة ضخمة من القصص، بدأ بإصدارها سنة 1995م وكانت الشخصية المحورية لهذه السلسلة شخصية خيالية اسمها عبير عبد الرحمن التي تلعب دور البطل النقيض، أو تمثل البطل المخالف لما هو معروف، وقد وصفها الكاتب بقوله:» عبير عبد الرحمن شخصية عادية إلى حد غير مسبوق، إلى حد يخطف الأبصار، إنّها الشخص الذي نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا الشخص الذي لا يتفوق في الجمال أو البراعة أو الذكاء، وثمة أبطال يمتازون بالقوة وثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق وثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر... ثمة أبطال يمتازون بأنّهم لا يمتازون بشيء، ويبدو أن عبير من هذه الفئة الأخيرة»(6). وشخصية عبير كما يصفها الكاتب لم تشكل بصورة متقنة على هيئة الشخصيات الأدبية التي صنعها كبار كتاب القصة، وهي من ثم شخصية متحولة بتحول المواقف والأحداث، وقد استوحى الكاتب هذه الشخصية من فتاة كان يراها تعمل في محل لألعاب الفيديو بالقرب من منزله، إذ كانت تلك الفتاة تقبل على القراءة بنهم، أو أنها كما يقول المؤلف تقرأ بتوحش، وهي فقيرة في كلّ شيء في المال والجمال والتعليم والنسب، ولكنها غنية بالثقافة، والمفارقة أنها كانت تقبل على قراءة قصص أحمد خالد توفيق ولا تعلم أنّها هي بطلة قصصه كلها.

9. زعم بعض الدارسين أن أحمد خالد توفيق قد اقتبس فكرة سلسلته من مسلسل أمريكي في الخيال العلمي اسمه « القفزة الكمية» والذي عرض من عام 1989 إلى عام 1993م، واسم بطل المسلسل «سام» ،وهو عالم في الفيزياء تمكن من اختراع آلة

تمكنه من الانتقال في الزمان، ولكنه وقع في خطأ جسيم وهو ينتقل في الزمن من نقطة إلى نقطة من خلال حياة أناس مختلفين، فيقوم البطل بممارسة حياتهم الماضية مستدركاً الأخطاء التي وقعوا فيها، وقد جعل صديقاً له يراقبه بطريق حاسوب متطور لحساب الاحتمالات التي يتوجب على سام ترجيحها وهو يسير وفق تفصيلات حياة أناس قضوا متجاوزاً الأخطاء التي وقعوا فيها، وليس ذلك فحسب بل يعرض الصديق «آل» للبطل سام نموذجاً يسعفه على تصحيح الأخطاء في المواقف، وهنا وقع شيء من التشابه في الأدوار بين بطل هذه السلسلة وعبير بطلة قصص أحمد خالد توفيق.

10. يعد أحمد خالد توفيق من رواد الفنتازيا في الرواية العربية المعاصرة، وهناك من يرى أنه أول من كتب الرواية الفنتازية، إذ برز من خلال سلاسله القصصية أنه توجه بهذا الموضوع إلى شريحة الناشئة، والواقع أنّ اطلاعه على الآداب الغربية كان من الحوافز غلى تخصصه في هذا المضمار، يضاف إلى ذلك أن الآدب الروائي العربي يكاد يخلو من هذا الضرب من الأدب، ومع تطور الآداب الغربية ودخولها في مضمار المنافسة مع الكشوفات العلمية برز هذا النوع من الأدب الذي يحاول الإفادة من مقدرات الخيال، محاولاً تحفيز جيل الشباب على الاكتشاف والمغامرة وارتياد مساحات غير معروفة في مجالات الفكر، لهذا لاقت أعمال توفيق قبولاً واسعاً عند جيل الشباب، وما يؤكد ذلك الإنتاج الغزير الذي قدمه توفيق في هذا المجال إذ كتب أكثر من ستين قصة في الفنتازيا، وقد انتقدت أعماله الأولى بشدة، لخروجه عن القواعد المعروفة في كتابة القصة، لكنه استمر في إصدار أعماله الافتراضية، ليضع فيما أرى أساساً لرواية ما بعد الحداثة، مع الإشارة إلى نجاح أعماله الروائية الأخرى كروايته «يوتوبيا» التي نشرها عام 2008م، ثم ترجمت إلى لغات أخرى.

11. اعتمد أحمد خالد توفيق في قصصه الفنتازية على أسلوب السخرية، وعلى السهولة المتناهية في اللغة الروائية، ومن حيث الموضوع كانت تقوم أعماله القصصية على تشخيص الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، في محاولة لتعميق وعي المتلقي بتلك الأزمات، بيد أنه توسل بالأسلوب الغرائبي والخيال غير المعقول وتجسيد الديستوبيا، كما أن معظم أبطال قصصه هم على النقيض من صور الأبطال في الأعمال الروائية المعروفة، وكذلك وسمت أعماله بالتشاؤم والإحباط واليأس، وشغلت فكرة الموت حيزاً واسعاً من تلك الأعمال، وفي مقابلة أجريت معه : ذكر أنّ قلبه قد

توقف عن النبض أربع مرات في أواخر حياته، لكنه استمر حياً، فكان لذلك دلالة عنده وهي أن يختم حياته بعمل أدبي لم يتعرف كنهه، ثم ظن أن الحياة أتاحت له الاستمرار ليتلف ما كان كتبه في حياته قبل أن يعاني من أزماته القلبية، وبالمقابل وجدت أعماله استجابة منقطعة النظير عند الشباب حتى قيل : إن سلسلته ما وراء الطبيعة قد شكلت وجدان جيل الشباب في مصر والعالم العربي (7).

فازت أعمال توفيق بجائزة الرواية العربية في الشارقة عام 2016م، ونشر آخر رواية قبل وفاته بقليل هي بعنوان «شأبيب» في عام 2018م.

ـــ الحواشي:

1- السواح، فراس (كنوز الأعماق – قراءة في ملحمة جلجامش) ص:210

2- هايدل، الكسندر(الخليقة البابلية) نشر بيت الحكمة للإعلام بغداد 2001 ص:79.

3- جورج ريزنر، أندرو (موسوعة بريتانيكا) الموسوعة البريطانية على الإنترنت 2005.

4- السواح، فراس (مغامرة العقل الأولى) ص:60

5- الساغا : حكاية أو قصة.

6- توفيق، أحمد خالد (سلسلة فنتازيا أحمد خالد توفيق) مقدمة العدد:46

7- مقابلة أجريت مع الكاتب وهي منشورة على الشابكة موقع :(10 b.b.news) حزيران 2019.